المحطة الخامسة

الجبل ومعاهدة ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩

الغليان السياسي

أولاً: توحيد الجبل مع سورية الأم ثم فصله

كانت المطالبة بمعاهدة سورية فرنسية لم تتوقف، ولكن تنفيذ هذه المعاهدة تأخر بسبب اختلاف وجهات النظر بين السوريين، الذين أرادوها خطوة مهمة نحو الوحدة والاستقلال، والفرنسيين الذين اشترطوا إبقاء الواجبات الملقاة على عاتقهم بموجب صك الانتداب كما هي بدون تعديل.

وعندما وقع رئيس الوزراء حقي العظم معاهدة مع ديمارتيل سنة ١٩٣٣، رفض المجلس النيابي السوري هذه المعاهدة، ورفض أكثر أعضائه التصديق عليها.

لأنها تناقض رغبات الأمة، ولا تضمن مصالح البلاد، وأهم اعتراض عليها كان لأنها تُبقي جبل الدروز ومنطقة العلويين منفصلين عن سوريا الأم.

وعندما تم الاحتفال بأربعين إبراهيم هنانو، أعلنت الكتلة الوطنية بدمشق، الميثاق الوطني القائم على تحقيق أماني الشعب، وحقه المشروع بالوحدة والاستقلال، وبدأت المقاومة الوطنية بمظاهرات صاخبة وعراضات في دمشق وبعض المدن السورية الأخرى، استمرت حوالي خمسين يوماً، سقط خلالها عدد كبير من الجرحى، وأجبرت الفرنسيين في النهاية على القبول بالمفاوضات لعقد المعاهدة المنشودة، وكان الصراع على أشده بين الوحدويين والاستقلاليين في الجبل، فأرسل الرؤساء الروحيون منشوراً[1] إلى رجال الدين في قرية امتان، بتاريخ ٢٣ كانون الثاني سنة

(١) المنشور وارد في مذكرات عادل أرسلان.

obeikandi.com

١٩٣٦، اعتبروا فيه حضور علي مصطفى الأطرش (علي امتان) أربعين إبراهيم هنانو وبقاءه في دمشق، عملاً لا يوافق مصلحة الجبل، ومخالفاً لمصالح أبنائه، وأرسلوا نسخاً من هذا المنشور إلى سالي بلدة سليمان نصار، والمجدل بلدة إبراهيم هنيدي الذين كانا مع الأمير علي، واستنكر محمد عز الدين الحلبي وجميع الوطنيين هذا المنشور وهذا الموقف، لأنه يخالف خط النضال القومي لأبناء الجبل[١] واستنكر محمد عز الدين الحلبي هذا المنشور باسم المجاهدين، وردد الكثير من المجاهدين والوطنيين في الجبل القول: "يؤسفنا أن يتدخل رجال الدين في السياسة[٢]". وكان الرد عنيفاً من مشايخ خلوات البياضة الذين حرموا على رجال الدين الاشتغال بالسياسة، مما دعا حاكم الجبل لزيارتهم في حاصبيا مع بعض الرؤساء الروحيين ومشايخ من الجبل لإلغاء هذا التحريم.

بنفس الوقت قام الأمير علي والوطنيون بدور وطني كبير عندما شكلوا "حزب الشباب الوطني" "القمصان الحديدية" الذي كان على اتصال مع الكتلة الوطنية بدمشق وقاوم الانتداب الفرنسي بضراوة، لذا وضعت السلطة الفرنسية الأمير علي امتان، وسليمان نصار، وإبراهيم هنيدي تحت الإقامة الجبرية بعد عودتهم من أربعين هنانو، وضيقت على غيرهم من الوطنيين، وقيدت تحركاتهم[٣] مثل "خليل خضر" محمد أبو جابر رضوان، صياح نعيم السويداء، داوود أبو سعدى الذي تبرع بسيارة قمصان حديدية للوطنيين في صلخد "وقد قامت السلطة بمصادرة الصحف الوطنية وأحرقت مكتبة الصحفي خليل نصر شرق ساحة السير في السويداء، لمراسلته للصحف ونقل أخبار التعسف والظلم خارج الجبل[٤].

وأغلقت مكتبة هاني أبو صالح وسجنته لأنه وزع الكتب العربية على نفقته لصفوف المدارس الابتدائية في الجبل.

---

(١) الصفاء عدد ١٩ آذار ١٩٣٦ ـ د. البعيني ص ٢٨١.

(٢) الصفاء عدد ٢١ أيار ١٩٣٦ـ وقد حاربها المشايخ.

(٣) الصفاء عدد ١٦ نيسان ١٩٣٦ ـ د. البعيني ص ٢٨١.

(٤) مقابلة مع المناضل الوطني قاسم عمر: شاهد عيان تمت المقابلة في ٢٠٠٠/٤/١٧

obeikandl.com

وعلى أثر هذه الأعمال التعسفية والضغوط على الوطنين في الجبل، اجتمع شباب بني معروف المتواجدون في دمشق في ٢٧ آذار سنة ١٩٣٦ وأصدروا بياناً باسم شباب الجبل[1] يحتجون فيه على مقاومة طلاب الوحدة السورية في جبل العرب، وإبعاد الوحدويين، ومصادرة الصحف، ومنع السيد أمين أرسلان من الاتصال بزعماء الجبل وتفتيش القادمين منه وإليه.

استغل نواب الجبل الموالون للسلطة الفرنسية، قرب المباحثات السورية الفرنسية، وبعثوا برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يعلنون فيها قرار مجلسهم المؤيد لاستقلال الجبل عن دمشق، ورضاهم عن الحكومة الحاضرة والحكم المباشر، ومباشرة تناولهم المجاهدون المنفيون في الصحراء ببيان عنيف، ذكروا فيه أن هؤلاء النواب عينتهم السلطة الفرنسية، ليكونوا مطايا تستخدمهم السلطة للدس والتفرقة وحجر عثرة في طريق الجبل. (مذكرة في ١٣ نيسان سنة ١٩٣٦ إلى المسؤولين السوريين والفرنسيين، تطلب انضمام الجبل إلى سوريا وتكلف نفس الوفد السوري بالتكلم باسم الجبل). وفي السويداء أيضاً، حصلت مصادمات أخرى استُخدمت فيها الأسلحة وسقط عدد من الجرحى بين الوحدويين والاستقلاليين عند إقامة المعرض الزراعي في ٢٨ حزيران ١٩٣٦. وعند الاحتفال في بلدة شقا لتكريم المجاهد محمود أبو يحيى الذي استشهد في القدس بثورة فلسطين سنة ١٩٣٦، وانتصرت الوفود التي تحمل الأعلام السورية يؤازرهم الأمير حسن الأطرش، وانسحبت الوفود الاستقلالية من الاحتفال.

هكذا نلاحظ أن الصراع كان على أشده بين جبهة الوحدويين بقيادة علي مصطفى الأطرش، ومعه المنفيون في الصحراء، يدعمهم الوطنيون في سوريا، وبين جماعة الجبهة الاستقلالية "حزب الدفاع" الذين تدعمهم السلطة الفرنسية، وكلما تعثرت المفاوضات في باريس، هاج وماج الاستقلاليون، أما إذا تقدمت المفاوضات في باريس هلل الوطنيون الوحدويون، وعندما كسب الوحدويون إلى جانبهم الأمير حسن الأطرش تحصنت مواقعهم وتأكد انتصار التيار الوحدوي على خصومه في الجبل.

---

(١) منشور الشباب في كتاب البعيني ص ٢٨١.

obeikandl.com

ثانياً: جبل الدروز محافظة سورية

عندما تم التوقيع بالأحرف الأولى، على المعاهدة السورية الفرنسية سنة ١٩٣٦، لم يرد فيها أي إشارة للجبل ومنطقة العلويين، لكن في الاتفاق العسكري الملحق نص في المراسلة رقم ٦ نصّ على أن تستبقي فرنسا جنودها لمدة خمس سنوات، اعتباراً من تاريخ إنفاذ المعاهدة في جبل الدروز ومنطقة العلويين[١]. وعند توقيع المعاهدة رسمياً تشكل وفد يضم خمسين زعيماً من الجبل برئاسة الكولونيل تاريت "**Taret**" تُلي أمامهم قرار انضمام الجبل إلى الوحدة السورية.

"تلي ذلك في قصر المفوض السامي بدمشق أمام وفد الكتلة الوطنية المؤلف من رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي، وجميل مردم، وفارس الخوري وشكري القوتلي (النهار عدد كانون أول سنة ١٩٣٦) على أن تستفيد منطقة الجبل من نظام خاص مالي وإداري فور إبرام المعاهدة السورية الفرنسية، على أن يسري عليه دستور الجمهورية السورية وقوانينها وأنظمتها[٢].

هكذا بالرغم من مختلف الصراعات، وجميع المزاودات والمناحرات والتحديات دخل الجبل في الوحدة السورية، وأصبح محافظة سورية تتمتع بقدر يسير من الاستقلال الإداري والمالي، وفقاً لأحكام النظام الأساسي الجديد والقرارات التي صدرت تنفيذاً لبنود المعاهدة. ولم يكن بالإمكان الحصول على أفضل من هذه الصيغة التوفيقية، التي كانت حلاً وسطاً بين حماس واندفاع الوطنيين الوحدويين، وحذر الاستقلاليين إزاء الدعوة إلى المركزية والمساواة.

وارتفع علم الجمهورية السورية فوق أبنية الجبل الرسمية، مكان علم حكومة جبل الدروز[٣]. وغدا الجبل محافظة تابعة للجمهورية العربية السورية. وأنزل العلم الدرزي بصمت وأخذ إلى قنوات مع رئيس المصالح الخاصة ليستلمه شيخ العقل المبجل الشيخ أحمد الهجري في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٧. وكانت هذه المعاهدة

---

(١) نص الاتفاق العسكري "في الملفات الفرنسية" "ملف الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب"

(٢) نفس النظام الأساسي "في النشرة الرسمية للمفوضية العليا عدد ٥ شباط ١٩٣٧.

(٣) النهار عدد ٣ كانون الثاني ١٩٣٧.

openkanar.com

مناسبة لإصدار العفو العام عن المجاهدين بعدما تردد الفرنسيون في منحه لسلطان الأطرش وعادل أرسلان وعبد الرحمن الشهبندر ورفضوا منحه للمناضل فوزي القاوقجي[1]. وكانت عودة المجاهدين في أوائل أيار ١٩٣٧ إلى دمشق، وقد وصلوا السويداء في ١١ أيار ١٩٣٧[2].

ألقى السيد عجاج نويهض خطبة بليغة في وداع المجاهدين في عمان، قال فيها: إنكم عائدون إلى "جبل العرب" فأعجبت هذه التسمية للجبل سلطان باشا الأطرش فقال: هذا الاسم المناسب للجبل لأننا من العرب وللعرب أجمعين.

استقبلت دمشق سلطان الأطرش ورفاقه استقبال الفاتحين ففرشت الشوارع بالسجاد من القدم حتى سراي الحكومة في المرجة. وأصدر المفتي قراراً باستقبال المجاهدين استقبالاً بهيجاً يستحقونه بجدارة لدفاعهم عن الوطن. فكان الكبار والصغار والنساء سافرات يهزجون ويزغردون. وحملت السيارة التي تقل القائد العام على الأكتاف حتى ساحة المرجة.

ثالثاً ـ مشكلة تعيين المحافظ

منذ إزاحة الحمدان عن حكم الجبل وزعامته وتسلمه لآل الأطرش كان النزاع والتنافس سجالاً مستمراً بين الأطارشة أنفسهم على موقع الزعامة وحكم الجبل. فأثناء ثورة العامية ١٨٨٩ التزم شبلي الأطرش زعيم عرى جانب العامية في البداية وهاجم أخاه إبراهيم وأطلق عليه اسم "أبو طربوش"[3] ليتهمه بارتمائه بأحضان السلطة التركية ضد أبناء عشيرته آملاً إزاحته ليصبح زعيم الجبل وشيخ مشايخه وقائم مقامه عن السلطة وبلا منازع. وفي بداية عهد الانتداب الفرنسي كان التنافس على أشده بين زعيم عرى سليم الأطرش وزعيم السويداء عبد الغفار وزعيم صلخد نسيب وزعيم رساس متعب على حاكمية الجبل وعند وفاة سليم الأطرش ١٩٢٣ قام متعب وعبد الغفار ينافسون خليفته حمد الأطرش أمير الجبل على حاكمية الجبل

---

(١) نجيب الأرمانزي "محاضرات عن سوريا" ص ١٠١.

(٢) الأستاذ محمد تقي "شاهد عيان".

(٣) ـ محافظة السويداء إصدار وزارة الثقافة السورية ١٩٦٢ ص ٦٧

obeikandl.com

هذا ما أدى أخيراً لضياعها من الثلاثة وتسليمها لكربيه. وبعد مقتل حمد الأطرش استمر التنافس بين حسن وعبد الغفار. وفي اجتماع عرى سنة ١٩٣٤ الذي اجمع فيه الطرشان على مبايعة حسن الأطرش في الزعامة تغيب عبد الغفار ومتعب وجاد الله ـ صلخد ـ عن الاجتماع وبقيت عرى مقراً لزعامة الجبل منذ أكثر من ثمانين عاماً[١]. وعند توحيد الجبل مع سوريا على أثر معاهدة سنة ١٩٣٦ كان حسن الأطرش أكثر المؤهلين لتسلم منصب المحافظ لأنه كان وقتها زعيم الجبل العشائري وأيده الوطنيون لتنسيقه معهم كما ظهر ذلك في احتفال شقا، وأيده أيضاً أكثر المجاهدين في المنفى حتى ولو كان لبعضهم بعض التحفظات [٢]. وقد جوبه حسن الأطرش بمعارضة شديدة خاصة من أقربائه في الجبل. وعندما شاع خبر تعيينه محافظاً للجبل تشكل وفد برئاسة عبد الغفار ومتعب الأطرش وحمزة درويش وحمود جربوع ومحمود كيوان وقابلوا أركان الحكم بدمشق، وزايدوا على الوطنيين فطلبوا تعين محافظ من غير أبناء الجبل بحجة أن ذلك يربط الجبل أكثر بالوحدة السورية[٣]. ويبدو هنا الحسد أو ربما طمع كل من عبد الغفار ومتعب في منصب المحافظ لنفسه.

يبدو أن هذا الوفد الذي طالب بتعين محافظ من غير أبناء الجبل شجع الوطنيين في الجبل على تشكيل وفد وطني طالب بتعين حسن الأطرش محافظاً، وهاجم من سماهم " بالانفصاليين وأخصام الجبل " الذين يرفضون تعين محافظ من أبناء الجبل. ثم تشكل وفد وطني آخر ذهب إلى دمشق مع علي مصطفى الأطرش الذي وصلته رسالة من سلطان الأطرش وهو في الكرك بالأردن فضل فيها تعين محافظ من أبناء الجبل وتعيين حسن الأطرش بالذات[٤]. ولما تباطأت الحكومة بدمشق في قبول طلب الوطنيين حار سلطان الأطرش بتفسير موقفها، وبعث برسالة إلى رئيس الحكومة

---

(١) ـ البعيني ص ٢٨٦

(٢) ـ النهار عدد ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٤

(٣) ـ د. البعيني ص ٢٨٦ مقابلة مع نعمان حرب

(٤) ـ رسالة سلطان الأطرش إلى علي مصطفى الأطرش بتاريخ ٢٦ كانون الأول ١٩٣٦ من أوراق علي مصطفى الأطرش

السورية يأسف لتعاونها مع من سماهم بالانفصاليين. وتخليها عن حسن و علي الأطرش[1].

رابعاً: تعيين المحافظ نسيب البكري

ولما لاحظ حسن الأطرش تعديل موقف الحومة السورية منه. فضل تأجيل حل مشكلة المحافظة حتى عودة المجاهدين الذين يؤيدونه وخصوصاً سلطان الأطرش لكن الحكومة السورية حزمت أمرها أخيراً وأصدرت قراراً بتعين السيد نسيب البكري محافظاً لمدة ستة أشهر تجري فيها الانتخابات، لمعرفته التامة حسب رأيها بأحوال الجبل وعلاقته القديمة بسكانه، وكان هذا القرار منسجماً مع سياسة الكتلة الوطنية القاضية بالهيمنة على جميع الأمور وتسلم الحكم من بابه إلى محرابه[2].

لم يرض الطرفان المتنافسان عن تعيين السيد نسيب البكري محافظاً للجبل وقد أدى ذلك لتغير التحالفات والمواقع لكل من الطرفين (عزِّل يا بكري وحكاية أبو فرحان شبيب القنطار[3])

فقد وجد حسن الأطرش وأنصاره في هذا التعيين عملاً مسيئاً إليهم مواتياً لرغبات خصومهم. ممتهناً لحقوق الجبل، فبدأ بمعارضة الحكومة السورية التي قررت هذا التعيين. كذلك لم يرض خصوم حسن الأطرش عن هذا التعيين بالرغم من مطالبتهم السابقة بتعيين محافظ من خارج الجبل لأن تعيين نسيب البكري لم يقترن بإرضائهم باستلام بعض الوظائف والمناصب كما كانوا يتوقعون، فبدؤوا بمعارضة المحافظ الواحد تلو الآخر. وقد واجه المحافظ صعوبات كثيرة مثل قضية الموظفين من خارج الجبل الذين اعتبرتهم المعارضة غرباء عن الجبل.كذلك مشكلة

---

(١) ـ رسالة سلطان الأطرش إلى نبيه العظمى في عام ٣٧، من أوراق سعيد أبو الحسن أيضاً ، البعيني ص ٢٨٦

(٢) ـ عبد الرحمن الكيلاني (المراحل) الجزء الرابع ص ٤٣٧

(٣) ـ عزل يا بكري من أغاني الناس التي عاشت ضد المحافظ البكري ـ وشبيب القنطار صرخ في الجموع أمام السرايا قائلاً: كل الجهاد والنضال الذي قدمناه لا يستحق محافظاً؟؟....

obeikandl.com

الانتخابات والتشكيلات الإدارية، بالإضافة للشائعات الكثيرة التي كانت تروجها الاستخبارات الفرنسية مثل زيادة الضرائب والرسوم. وإحداث تعيينات جديدة. فانعقد مؤتمر شعبي في شهبا طالب بتخفيض الضرائب ٥٠٪ وتعيين أبناء الجبل بالوظائف بدلا من الغرباء " من أنصار الكتلة الوطنية " كل ذلك أحدث بلبلة كبيرة اضطر المحافظ على أثرها لزيارة قنوات ومباحثة شيخ العقل أحمد الهجري وإصدار قرار يعفي المزارعين من دفع الضرائب المتأخرة من سنة ١٩٣٢ [١] وتعميم بلاغ ينفي الإشاعات التي روجتها الاستخبارات الفرنسية عن زيادة الضرائب.

أما سلطان الأطرش الذي كان يفضل تعيين حسن الأطرش فقد أبرق للسيد نسيب البكري مهنئاً وطلب إليه، احترام عادات الجبل وتقاليده التي لا يجهلها[٢]. كما طلب إلى حسن الأطرش الذي جاء إلى الكرك لمقابلته، مساعدة نسيب البكري" ونصحه بالتزام الهدوء والتعاون مع الحكم الوطني الذي يعتبر أول ثمرات الجهاد. ثم أذاع باسم جميع المجاهدين بياناً قال فيه: "إن الوحدة السورية هي غايتنا الأساسية، وفيها مصلحة الجبل الحقيقة، والوحدة يجب أن تظل في نظرنا فوق المطامع الخاصة والتنافس المحلي[٣]." مع كل هذا بقي الصراع مستمراً بين الفريقين بالجبل.

خامساً: المحافظ حسن الأطرش

لم يقبل حسن الأطرش نصائح سلطان بعد عودته من الكرك وعقدت عدة مؤتمرات في عرى وقرية السجن وتعددت البيانات المتناقضة الوحدوية والاستقلالية واحتدت الأمور حتى أدت لخروج مظاهرات مسلحة كادت تقود إلى مصادمات دموية. خاصة عندما عاد نسيب البكري من دمشق بعد المفاوضات، مع التلويح بالعصيان المدني من قبل المعارضين الذين قاموا بمظاهرات مسلحة في السويداء قادها حزب الدفاع، وسار فيها.

---

(١) ـ نص البلاغ: في جريدة النهار عدد ٢٨ آذار ١٩٣٧

(٢) ـ رسالة سلطان الأطرش إلى نسيب البكري بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ أوراق نسيب الكري

(٣) ـ مقالة أكرم زعيتر في الشرق الأوسط ١٨ أيار سنة ١٩٨٢ بعنوان: سلطان الأطرش

obeikandl.com

" بحسب اتهامات الوطنيين" بعض مستخدمي المخابرات يطلقون العيارات النارية بقصد الإرهاب[1]، وكاد الأمر يصل بين الفريقين إلى الصدام المسلح خاصة بعدما تحمس حزب الدفاع عن استقلال الجبل الإداري والمالي، ولبس المنتسبون إليه قمصاناً ملونة تميزهم عن أعضاء حزب الشباب الوطني ذوي القمصان الحديدية. وعندما تأزم الموقف استدعى ذلك حضور سلطان الأطرش بعد عودته مباشرة من منفاه إلى السويداء والإقامة في دار المحافظة مدة شهر والدعوة إلى عقد اجتماع في ١٧ حزيران سنة ١٩٣٧ لأن الموقف في البلاد خطر والموقف يتطلب الإسراع في العمل لإزالة البلبلة[2]. وبما أن سلطان الأطرش لم يستطع التوفيق بين الفريقين، واتقاء لخلاف دموي محتمل في أية لحظة، تظاهر بقبول اقتراح الوطنيين " بأن يكون هو المحافظ " على شرط أن ينصرف الناس إلى قراهم. وبهذا أنقذ الجبل كما قال الأهالي من مذبحة[3]. وأخيراً تبين الحل جلياً واضحاً عندما أبدي الأمير شكيب أرسلان رغبته في التوسط إذا قبل الطرشان بذلك، وحضر وفدمن الزعماء من جبل لبنان ووادي التيم والإقليم، ضم مشايخ خلوات البياضة واجتمع بالفريقين لتقريب وجهات النظر، ووضع حلاً يقضي بتعيين حسن الأطرش محافظاً إذا أرادت الحكومة السورية تعيينه[4]. ثم تدخل المفوض السامي في الأمر وتوصل مع زعماء الفريقين إلى تنفيذ الحل الذي وضعه الوفد اللبناني الوسيط، وبعد مشاورته مع الحكومة السورية عينت الحكومة السيد بهيج الخطيب محافظاً لمدة ستة أشهر وعند انتهاء مدته عينت حسن الأطرش محافظاً دون أن تلقي أية معارضة[5]. وجرت بعد ذلك الانتخابات في كانون الأول ١٩٣٨ بدون حوادث تذكر. وفاز فيها زيد الأطرش عن قضاء صلخد، وسليمان نصار عن السويداء، ومحمد عز الدين عن

---

(١) ـ رسالة التهنئة الوطنية إلى نسيب البكري د. البعيني الملحق رقم ٢١ ص ٤٠٨

(٢) ـ نص دعوة سلطان الأطرش في كتاب سليمان الصباغ ص ٥٩

(٣) ـ حديث سلطان الأطرش لمراسل البيان سلمان جابر- عدد ٢٠ أيار ١٩٣٩

(٤) ـ رسالة الكتلة الوطنية في السويداء بتاريخ ١٦ أيلول ١٩٣٧ إلى محمد عز الدين من أوراق محمد عز الدين

(٥) ـ عين حسن الأطرش محافظاً بموجب المرسوم رقم ١٤٩ ـ الجريدة الرسمية

obeikandl.com

شهبا ، وعقلة القطامي عن الأقليات، وعودة السرور عن عشائر الجبل. وانتخب تسعة أعضاء لمجلس الإدارة الذي يعاون المحافظ هم:

متعب الأطرش ومحمد أبو عسلي، وجاد الله سلام، وعبد الكريم نصر عن السويداء.

حسين عز الدين الحلبي، ومحمد قفطان عزام، عن شهبا.قاسم أبو خير وأسعد العيد عن صلخد."أسعد العيد روم أرثوذكس" "الجريدة الرسمية عدد ١٤ نيسان سنة ١٩٣٨ ص ٣٥٤"

نلاحظ هنا عدم زيادة الأطارشة في مجلس النواب ومجلس الإدارة. وعدم هيمنتهم على الساحة السياسة بشكل كامل كما كان يظن البعض. لكن الموظفين الغرباء قد تناقص عددهم أيضاً وطرد الكثير منهم من الجبل خاصة أبناء لبنان وسائر المناطق السورية ومن بين المطرودين دروز اكتسبوا جنسية جبل الدروز قبل أن يصبح محافظة[1] وقد احتج الكثيرون على هذا الطرد خاصة الصحف اللبنانية، لكن السلطة الفرنسية وأعوانها شجعوا هذا الطرد للتخلص من المنتمين إلى حزب الكتلة الوطنية الحاكم كخطوة من خطواتهم على طريق فصل الجبل عن سوريا الأم.

سادساً ـ الصراع من جديد ـ وإلغاء المعاهدة

بالرغم من حل مشكلة المحافظ وممارسة الممثلين ومجالس الإدارة لأعمالها بشكل مقبول لم يتوقف الصراع بين الوطنيين والاستقلاليين الذين وجهوا بتحريض من السلطة الفرنسية رسالة عن الشعب في الجبل والمجلس الإداري إلى الجنرال كليمانت غرانكور الذي رفعها إلى باريس تطلب انفصال الجبل عن دمشق انفصالاً تاماً وإعلان استقلال الجبل تحت وصاية فرنسية، وكان ذلك أثناء وجود رئيس الوزراء السوري في باريس يطالب بتصديق معاهدة سنة[2]١٩٣٦. وقد جابه الوطنيون هذه المعارضة الاستقلالية برفع العرائض إلى المفوض السامي وتعميم البيانات وتطيير

---

(١) ـ البيان عدد ١٣ أيار ١٩٣٩ ـ د. البعيني ص ٢٩٤

(٢) ـ le mond ١٣ أيلول ١٩٣٨ د. البعيني

openkandil.com

البرقيات التي تندد جميعها بموقف الاستقلاليين وتؤيد الاستمرار بالوحدة مع دمشق. مما دعا السيد شكري القوتلي في خطابه في المجلس النيابي السوري لأن يطلب موقفاً حازماً للحكومة السورية من أحداث الجبل ومناطق العلويين. وأن تأتي بالسيد عبد الغفار الأطرش مكبلاً بالسلاسل والقيود. وقد أجابه النائب زيد الأطرش: إن الحكومة هي المسؤولة عن كل ما يحصل بسبب سياستها التي ستؤدي في النهاية إلى خسارة كل أمل في الوحدة والاستقلال، وختم حديثه بالطلب إلى شكري القوتلي بتنفيذ ما طلب وهو مستحيل التنفيذ قائلاً: "إن السيد عبد الغفار الأطرش هو الآن في السويداء، فليتفصل شكري القوتلي، وليأت به مكبلاً بالسلاسل والقيود[1]"

شجع خطاب السيد شكري القوتلي الاستقلاليين في السويداء فقاموا بالمظاهرات ورفعوا عرائض الاحتجاج، وكانت بعض قصائد الفن التي يرددونها تقول:

شكري بيك القوتلي باعث تهديد مضمونك ياقوتلي وبظن بعيد

قوطر و افتلك فتلي واقرا من جديد ماخرج نظام وكتلي الثنتين صعاب

وقد قابل ذلك مظاهرات واحتجاجات معاكسة من الوطنيين في الجبل، فاضطر المفوض السامي "غابريال بيو" في ٩ شباط/١٩٣٩[2]. للذهاب إلى السويداء والاطلاع بنفسه على القوى المتصارعة فيها.

وهنا يروي المناضل الوطني محمد قاسم عمر[3] مايلي:

عند وصول بيو مع موكبه إلى مدخل السويداء عند نزلة الأعوج كنا صفوفاً متراصة من الوطنيين نرفع الأعلام السورية ونهتف "تحيا سوريا **vive la syrie** بالعربي والفرنسي. وقد وصلنا عدة أعلام سورية على شكل قوس وأجبرنا المفوض

---

(١) ـ الصفاء عدد ٣ كانون الأول ١٩٣٨ د. البعيني ص ٢٩٥

(٢) ـ الاستقلال العربي ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٩

(٣) ـ مقابلة مع محمد قاسم عمر في السويداء بتاريخ ١٩٣٩/٤/٢

obeikandl.com

السامي أن يمر من تحتها. وعندما تباطأ بالتحية عند دار علي القنطار[1]، تقدم المناضل نايف مرشد رضوان شاهراً المسدس من نافذة السيارة وقال له: قل تحيا سوريا **vive la syrie** فهز رأسه وقال: **vive la syrie** ثم تابع موكبه ضمن الفئات الأخرى الموالية حتى السرايا حيث تبارى الخطباء من الفريقين، وتكلم المجاهد زيد الأطرش باسم الوطنيين فقال: "نرفض قانون الطوائف الذي يفرقنا إلى دويلات ونطلب تحقيق الوحدة السورية، وإلا سنعيد الثورة السورية من جديد".

أما الأستاذ حسين عبد الدين فكان في الساحة بين الجماهير يفتتح خطابه قائلاً:" سجل يا تاريخ واشهدي يا جبال أننا التحقنا بسوريا الأم ولم نرض عن ذلك بديلاً...

وتابع بعد ذلك المفوض السامي رحلته إلى صلخد بعد أن عفا عن نايف مرشد رضوان معتبراً عمله يندرج في تيار العمل الوطني، واستنتج لنفسه شبه التعادل بين الفريقين المتصارعين مع أن السلطة الفرنسية كانت تعمل جاهدة على إعادة فصل جبل الدروز ومنطقة العلويين عن سوريا، وتتخلص شيئاً فشيئاً من معاهدة سنة ١٩٣٦ التي حققت الوحدة السورية. وفي الجبل كانت كل قرية و كل عائلة تنقسم إلى قسمين، قسم مع حزب الدفاع المطالب باستقلال الجبل والاحتفاظ بثرواته لحكومة الجبل، وقسم يطالب بالانضمام إلى دمشق والاندماج بالوحدة السورية.

ولم يتميز في ذلك الوقت أن الموقف الأول غير وطني والثاني موقف وطني، بل كان كل فريق يعتبر موقفه وطنياً أكثر من الآخر ففي السويداء كنت تجد آل أبو عسلي ورضوان مثلاً قسم مع حزب الدفاع واستقلال الجبل وقسم مع حزب الوحدة الوطنية وهم الأكثرية ـ وآل جربوع بعضهم مع حزب الوحدة الوطنية والبعض الآخر مع حزب الدفاع واستقلال الجبل وهم الأكثرية.

آل نصر: بعض زعمائهم في نجران في حزب الدفاع مع عبد الغفار الأطرش وحمود جربوع. أما نايف عجاج نصر وعبد الكريم نصر ـ سميع ـ وكايد غيث نصر ـ نجران ــ فمن قادة الوطنيين مع أعوانهم في حزب الوحدة الوطني. آل أبو فخر كذلك بعض الزعماء مع حزب الدفاع ، أما خليل أبو فخر وفضل الله أبو فخر فمع

---

(١) تاريخ زيارة بيو للسويداء الخميس ٩ شباط ١٩٣٩ مسجل لدى الأستاذ محمد تقي شاهد عيان.

openkanal.com

الحزب الوطني. وكان السيد متعب أبو فخر من أنشط المدربين للقمصان الحديدية في نجران. آل الأطرش الأمير علي " امتان" القائد الأول للحزب الوطني بينما كان عبد الغفار الأطرش في السويداء من قادة حزب الدفاع ولم يكن حزب الدفاع، ضد وحدة الجبل مع سوريا إنما كان يطالب بالاستقلال المالي والإداري فقط للجبل وهذا ما فسره خصوم الحزب بكلمة الانفصال.

obeikandl.com

نسب آل الأطرش

ينتمي آل الأطرش في الجبل لعدة فروع مثل ـ بنو النجم ـ بنو عبد الله ـ بنو العقال ـ بنو الحلبي ـ بنو زيدان. يجمع الكل عائلة واحدة جدها عبد الغفار حاكم الجبل الأعلى في منطقة حلب والذي ينتسب إلى الأمير " سليمان المعني" وقد توزع أفراد هذه العائلة إلى لبنان "برمانا" فلسطين "قرية جرمق" و"إقليم البلان" "بقعسم"، وجاء أحد أفرادها وهو علم الدين إلى "مرجانا" في غوطة دمشق، ثم إلى عريقة، وأنجب عدة أولاد منهم إسماعيل الأول الذي كان أطرشَ، فعرفت سلالته (بالطرشان)، منهم محمد وابنه إسماعيل الثاني الذي سكن القريا في منتصف القرن التاسع عشر ١٨٥٠، وأزاح فيما بعد الحمدان من عرى ١٨٦٩ وقضى على زعامتهم وحل محلهم ١٨٦٩. ويعتبر إسماعيل الثاني من أهم المؤسسين للأسرة الطرشانية في الجبل خاصة طرشان (دار عرى ـ دار القريا) إذ تزوج أولاً من أسماء الحجلي، ثم بعد وفاتها تزوج من قرنفلي الحناوي، وأنجب من كل زوجة أربعة أولاد، وهذا المخطط المرفق يمثل أسماء الجيلين: الأول والثاني، من أبناء إسماعيل الثاني وتوزعهم في الجبل....

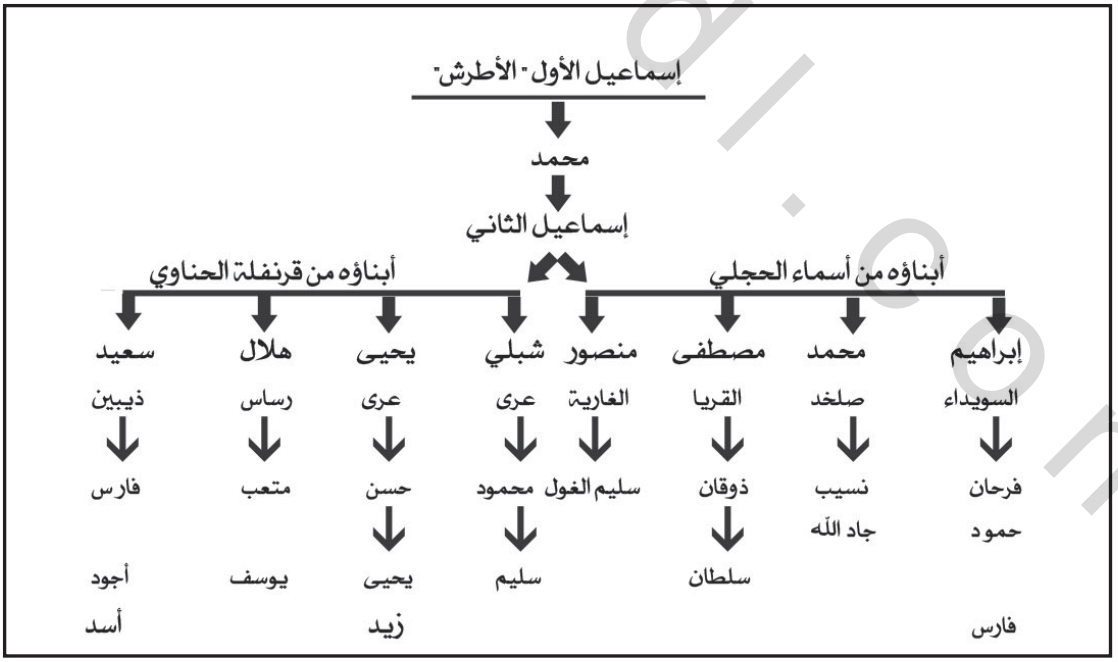

ملحق

مقابلة مع المجاهد محمد قاسم عمر السويداء في ٩ شباط ١٩٣٦ قال:

" عندما قدم الجنرال غابرييل بيو **Gabriel Bio** إلى السويداء، اجتمعنا مع وفود من الشباب الوطنين عند نزلة الأعوج في بداية مدخل المدينة، نهتف للوحدة السورية والاستقلال ونردد عبارة " تحيا سوريا بالعربية والفرنسية" ورفعنا قوساً من الأعلام السورية من جانب الطريق الأيمن إلى الجانب الأيسر لنجبر الجنرال بيو على المرور من تحته. وعندما قدم الجنرال بسيارة ستروين توقف قبل القوس، فسكرنا الطرقات حتى أجبرناه على المرور بسيارته تحت الأعلام السورية، ولما وصل موكبه عند القارمة التي كانت على عند مفرق طريق الثعلة توقف قليلاً عند حاجز آخر من الوطنيين: وتقدم نحوه المجاهد الشاب نايف مرشد رضوان وبيده مسدس قرداق أشهره على الجنرال من نافذة السيارة وقال له: قل تحيا سورية **Vive La Syrie** أي طلب إليه أن يحيي سوريا حرة مستقلة. فهز الجنرال رأسه وقال بالفرنسية تحيا سوريا حتى سمحوا له بالمرور.

وكانت عناصر حزب الدفاع قد تجمعت في الساحة الرئيسية في الميدان بعد أن كسرت مكتب خليل نصر شرق السرايا، وقد حصلت مواجهة بين الدفاعيين والوطنيين استمرت حتى جاء الدرك وفصلوا بين الفريقين. وقد مرّ موكب الجنرال بيو بعناصر حزب الدفاع دون أن يتوقف حتى وصل إلى دار الحكومة" السرايا" وبدأ باستقبال الوفود التي كانت تحييه وتقدم مطالبها.

وقد تكلم هنا المجاهد زيد الأطرش باسم أخيه سلطان الأطرش فقال: " نحن نرفض قرار الطوائف الذي يفرق الناس ولا نقبل به ولو كلفنا ذلك إعادة الثورة السورية من جديد...!!

وتتالت كلمات الخطباء في الساحة فألقى المجاهد مهنا حاطوم خطاباً وطنياً، وتكلم المناضل الوطني حسين عبد الدين وكان مما قاله: سجل يا تاريخ واشهدي يا جبال، أننا التحقنا بسوريا الأم ولن نقبل التراجع؟

obeikandl.com

أما في مقابلة مع الأستاذ محمد تقي: فقد أكد هذه الحوادث وهو تلميذ في الابتدائي وحدد تاريخ زيارة الجنرال بيو للسويداء يوم الخميس ٩/شباط/١٩٣٦.

وأخيراً نجح اليمين الفرنسي في الجمعية الوطنية وحال دون إبرام المعاهدة السورية الفرنسية. وتعزز انفصال الجبل عن دمشق.

كل ذلك بالرغم من التنازلات التي قدمها رئيس مجلس الوزراء السوري جميل مردم في اتفاقية مع وزير الخارجية الفرنسية جورج بونييه[١] وصدور بيان مشترك عنهما بالموافقة على تصديق المعاهدة قبل ٣١ كانون الثاني سنة[٢]١٩٣٦. واعتبرت الجمعية الوطنية الفرنسية استقلال سوريا ولبنان بموجب معاهدة سنة ١٩٣٦ بداية ضعف فرنسا، وأن انسحاب الجيش الفرنسي من سوريا سيؤدي إلى اقتسامها بين تركيا وإمارة شرقي الأردن والعراق. واتخذت من موضوع حماية الأقليات والأموال التي صرفتها فرنسا في سوريا ولبنان حجة لإبقاء الجيوش الفرنسية في البلدين[٣] ومما يذكر هنا: أن السيد فايز الخوري أخا فارس الخوري وكثير من المسيحيين في دمشق عندما سمعوا أن فرنسا تتمسك ببقاء جنودها بدمشق لحماية الأقليات خاصة المسيحية أصبح فايز الخوري وكثير من المسحيين في دمشق يصلون ويؤدون طقوسهم الدينية في الجامع الأموي. وعندما أقفل الفرنسيون الجوامع في دمشق لخروج مظاهرات منها ضدهم. فتح المسيحيون في مختلف أحياء دمشق كنائسهم ليصلي فيها المسلمون ويؤدوا طقوسهم الدينية. وهذه مواقف مشهورة تدل على تعاون الإسلام والمسحيين على مقاومة المستعمرين والدفاع عن الوطن سوية حتى يومنا الحاضر ودون تمييز.

أخيراً لم ينفع تمسك السوريين بالمعاهدة لأن الفرنسيين أعلنوا أنها لا توافق مصالحهم، وتحللوا منها وباشروا إلغاء مفاعيلها. وعلى صعيد الوحدة السورية أصدرو نظاما أساسياً جديداً للجبل بموجب القرار ١٣٣ ل. ر يعطي المحافظ ومجلس المحافظة فيه صلاحيات أوسع، ونظاماً قضائياً بموجب القرار عدد ١٣٦ ل. ر يجعل القضاء في

---

(١) ـ محمد الفرحاني: فارس الخوري ص ٧٥. د. البعيني ص ٢٩٧

(٢) ـ عادل إسماعيل: السياسة الدولية الجزء الخامس ص ١٤١

(٣) ـ د. العيني ص ٢٢٦

Operkan.com

الجبل تحت الإشراف الفرنسي الكامل، والقرار رقم ١٣٨ ل. ر الذي يجعل ممثل المفوض السامي في الجبل ومنطقة العلويين الحاكم الفعلي والمرجع الذي يجب أن يصادق على قرارات المحافظ ومجلس المحافظة لتصبح نافذة [١] " ١٥ تموز ١٩٣٩".

بهذه القرارات وما أعقبها من خطوات تنظيمية، تمت عودة الإشراف الفرنسي الكامل والمباشر على شؤون الجبل وفصله عن الحكومة السورية. بحيث لم يبق سوى المحافظ الذي يختاره مجلس محافظة جبل الدروز. وبعض العلاقات المالية الواهية.

obeikandl.com

(١) ـ نصوص هذه القرارات الثلاثة في النشرة الرسمية للمفوضية العليا عدد ١٥ تموز ١٩٣٩